و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

الحيي الستير

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٩ - ١ - ١٤٤٣ هـ

الحيي الستير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

حديثنا اليوم استئنافٌ لسلسلة دروسنا حول أسماء الله الحسنى، نتناول اسمًا نحاول أن نفهمه، ونعرف كيف نعيش به ونطبقه في حياتنا.

وقد تناولنا فيما سبق مجموعة من الأسماء الحسنى، كالهادي، القريب، المجيب، الفتاح، السميع، القوي، الجبار، الكريم الأكرم،

واليوم بين يدينا اسم من أسماء الله عز وجل وهو "**الستّير**" وهذا الاسم نادرًا ما نستشعره أو نتعبد الله به، فالمشهور مثلًا أن نتعبد الله باسم الرحمن، الغفور، الكريم، الشكور، الرؤوف، الودود، غالبًا هذه الأسماء هي المعروفة والتي كثيرًا ما تُطرق على الذهن، لكن اسم الله الستير غالبًا لا يخطر على الذهن في أثناء الدعاء.

سنبحر اليوم في هذا الاسم ونرى إلى أي مدى نحن نحتاج هذا الاسم في حياتنا؟

فأما اسم الله الستير: فهو الذي يحب الستر، ويكره الفضائح، ويكره العورات.

فمعنى كلمة الستير أصلًا: أن الله عز وجل يستر على عباده فيكره أن يفضحهم ويكره أن يفشي عوراتهم، وهو عز وجل يستر الذنوب على عباده وإن عظمت، فحتى وإن عظم الذنب فالله عز وجل يستره عليهم، ويغفر ذنوبهم وإن جاهروا بها، فلو جاهر العبد بالذنب ولو عصى الله عز وجل ثم تاب بعد ذلك وأناب واستغفر فإن الله عز وجل يغفر له هذا الذنب.

طالما أن هذا العبد يشهد ألا إله إلا الله وهو من الموحدين فإن الله {لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء 48 إذًا فمن ستر الله عز وجل على عبده أنه يستر الذنب و يغفره له.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح]ودائمًا نأخذ من هذه الأحاديث أن الجزاء من جنس العمل، فكما تكون أنت مع الناس يكون الله معك، ولذلك أسماء الله عز وجل الحسنى التي نتدارسها يحب الله منا أن نتمثلها، فالله رحيم يحب الرحماء، الله كريم يحب الكرماء، والله ستير يحب من يستر على عباده، ولذلك جاء هذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح]

تخيل معي ماذا لو أن كل مرة نذنب فيها ذنبًا يُكتب على جباهنا أننا أذنبنا هذا الذنب؟ مثل بني إسرائيل كان عندهم أنه إذا أذنب الواحد منهم ذنبًا فتاب وقُبلت توبته يُحرق باب بيته، فيصبح و الناس كلهم يعرفون أن فلان أذنب وتاب فقبل الله توبته، تصير مثل العلامة على باب بيته!

ماذا لو كنا مثلهم ؟ أو ماذا لو كان لذنوبنا روائح ؟! فكل مرة أنتِ تذنبين ذنبًا تخرج منك رائحة خبيثة يستقذرها الناس! **تخيلوا لو أننا في كل مرة نفعل ذنبا نفتضح، كيف سيكون شعورنا؟** والله سبحانه قد خلق المؤمن مُفتّنًا توابًا، فالله يحب منا التوبة، فأيُّ إنسان لابد أن يصدر منه الذنب، لكن لابد منه أيضًا التوبة.

ولذلك اسم الله الستير يتضمن صفة هي من عظيم المنة علينا أن الله يسترنا بستره، في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]يعني أنه رأى رجلًا يغتسل في مكان بارز مكان مكشوف، وكل الناس تراه، ولم يجعل له إزار، يعني مكشوف العورة، فصعد النبي منبره، وخطب خطبة لينبه من هذا الفعل، ماذا كان موضوعها؟ كانت عن الستر، فلا تهتك ستر نفسك، ولا تكشف عورتك بنفسك، فالله عزوجل يحب منا أن نستر أنفسنا وألا نفضحها.

وكما يحب الله الستر على هذه الفضائح، فإن الله يحب من يتركها أصلا، ألّا يفعل المرء من يشينه من الأساس، فإذا كان الستر مطلوبًا إذًا فترك ما تستتر لأجله أكثر طلبًا! وتأمل مقام الإنسان الذي ترك الذنب ولم يفعله مطلقًا، كيف يكون مقامه عند الله عز وجل؟

هذه الصدور تستتر في داخلها الخواطر، ومنها الخواطر السيئة، والإرادات والتخيلات السيئة، تجدين إنسانًا شارد الذهن فتظنين أنه يفكر بشيء شريف أو بحادثة حدثت في البلد فإذا هو أصلًا يفكر بأشياء وخواطر سيئة جدًا، هذه الخواطر التي تمر على الإنسان هي خواطر مستورة في داخل الصدر، تخيلي لو أن هذه الخواطر مكشوفة وفوق رؤوسنا هناك جهاز يكشف هذه الخواطر؟ فأي شيء يمر في صدرك أو خاطرة تمر عليك فإذا هي مكتوبة في الجهاز فوق رأسك! تخيلوا الفضيحة حينها؟!

إذًا لولا ستر الله لافتضحنا، والله سبحانه مطلع عليك ولكنه من ستره عليك لا يفضحك عند الناس. والناس كلهم أجمع محتاجون لستر الله، والله تعالى لا يحتاج لأحد، ولذلك جاء في الحديث "...، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،..."[أخرجه مسلم، صحيح] فلو كان كل العالم لا يخرج منه إلا فجور وفسق ومحادة لله عز وجل، فإنه لا ينقص من ملك الله عز وجل شيء، لأن السماوات السبع أصلا كلها وما فيها عبارة عن تسبيح وتنزيه لله سبحانه، وما حجم الأرض في الكون الذي خلقه الله؟ إنه لا شيء.

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ. قَالَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ»[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: صحيح] فالله عز وجل عنده في الملأ الأعلى ملكوت هو أضعاف أضعاف ما هو موجود في الكرة الأرضية وعدد البشر، فالله عز وجل غني عنا وعن عبادتنا، ومع ذلك إذا عصى عبده أو أذنب فندم غفر الله له وستر الله عليه.

مع أننا نحن البشر يحدث أحيانًا لما يُخطئ أحد في حقنا فإن الاعتذار منه لا يكفيك، بل يظل فيك شعور أنك تودّين التشهير به، وإذلاله أمام الناس، أما الله سبحانه وهو صاحب الفضل الدائم علينا، ونحن عباده

المخطئون دائمًا فإن من صفاته أنه يغفر ويستر ويرحم هذا العبد على ذنبه الذي فعله. ولذلك قال الله عزوجل في كتابه: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة 104] "التواب" صيغة مبالغة يعني حتى لو أذنب العبد فإن الله عز وجل يتوب عليه مرارًا وتكرارًا إذا ندم وتاب.

فسبحان من تُنتهك حرماته ثم يوفق عبده إلى أن يندم فيتوب فيغفر الله له، يقول الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى 25] فأنت حين تفعل الذنب لا تفعله وأنت مختبئ عن ربك، بل الله يراك في كل المراحل، رآك لما خططت له، ورآك وأنت ذاهب له، وأنت راجع منه، وأنت منغمس فيه وراض عن نفسك، ومع ذلك فالله عز وجل ماذا يقول؟ {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} بل {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

فلا تظن أنك تتلاعب مع الله حين تظهر التوبة الآن ولكن قلبك ينوي العودة للذنب، فالله سبحانه يعلم ما تفعل، ولذلك من شروط التوبة الخمسة : أن يندم على ما فعل وأن يعزم على ألا يعود، فشرط التوبة لتكون صادقة وتكون مقبولة عند الله عز وجل أن يندم على الذنب يعني يذهب من قلبه حلاوته، بل ويحقر نفسه كيف فعله وكل اجترأ على الله عز وجل ويعزم عزمًا ألا يعود.

ولذلك جاء في الحديث أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: " يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ " [أخرجه مسلم، صحيح] هذا الموقف متى؟ يوم القيامة، يوم تجتمع الخلائق كلهم من آدم إلى آخر من يولد له، هؤلاء الخلق كلهم سيصفون في صف واحد في أرض واحدة فلا تخطئهم العين وينفذ كل هؤلاء البصر، فلا يوجد شجر ولا حجر ولا جبل ليتوارى أحدٌ خلفه، في هذا الموقف ومتى ما بدأ الحساب فيُبدأ في أخذهم واحدًا واحدًا ولذلك هذا اليوم هو خمسون ألف سنة- وكل واحد منهم يأتي لحسابه وكتاب كل واحد مسجل فيه الغدرات والفجرات، فيلقى كتابه فإما أن يأخذه بيمينه وإما أن يأخذه وراء ظهره، في هذا الموقف الرهيب وأنت ترى الناس تناديها الملائكة تسلسلها وتنتظر كتابها، تقول في نفسك هل أنا من أهل النار أو أهل الجنة؟ هذا السؤال العظيم الذي لأجله يدعو الأنبياء ذلك اليوم: "اللهم سلّم سلّم"، لأنهم رأوا أهوال ذلك اليوم وكما جاء في الحديث الطويل"...، إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ..."[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح] فإذا كان الأنبياء وهم صفوة الخلق يخافون من ذلك اليوم، فكيف سيكون حالنا نحن في ذلك اليوم؟

مشهد الحساب كيف يكون؟ وكيف وصفه النبي عليه الصلاة والسلام؟ يقول: " يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، ... " [أخرجه مسلم، صحيح] يعني أن أول مشهد الحساب هو أن يلقي الله ستره بينك وبين الخلق، فلا يستطيع أحد أن يسمع شيئًا بل الحديث الآن خاص بينك وبين الله، فيقول له الله عز وجل: "فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، ... " [أخرجه مسلم، صحيح] ولا يستطيع أحد أن ينكر أو يقول لا، فالملائكة بجانبك، وهذه النار قربت، فالآن لا مجال للكذب، لا مجال لأن تقولي يارب اختلف العلماء في المسألة، بل تسألين أنت فعلت كذا؟ بكامل قواك العقلية؟ فيقول العبد نعم، " فَيُقَرِّرُهُ، ..." [أخرجه مسلم، صحيح] ولا تزال تعرض عليه

أعماله من لحظة تكليفه حتى وفاته، ثم يقول له الله عز وجل: ".. إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ " [أخرجه مسلم، صحيح]

لله عز وجل مائة رحمة، وضع سبحانه رحمة واحدة فقط في الدنيا وتسعة وتسعين رحمة خبأها ليوم القيامة، فالله عز وجل من رحمته بالخلق جعل هذه الرحمات يوم القيامة لأنك أحوج ما تكونين إلى رحمة الله عز وجل وستره هناك.

ولذلك إذا أذنب الإنسان ذنبًا فلم يستره الله وفضحه، يعني فعلت ذنب في يوم من الأيام وفجأة تجدين أن كل الناس عرفوا به، وكان حديث الألسن وصرتِ محط الأنظار، فلا يكن تفكيرك وقتها كيف أغطي ذنبي بسرعة؟ كيف أعتذر؟ كيف أبين للناس قصدي؟ كيف أنسّيهم ما حدث؟ بل السؤال الأول والأهم الذي لابد أن تسألي نفسك به : **الله عز وجل لماذا هتك ستره عني؟ كيف انفضحت؟**

جيء بسارق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: اعف عني إنما هي المرة الأولى، قال: لا والله لا يؤاخذ الله العبد على أول ذنب.

فالله سبحانه لا يؤاخذك على ذنبك الأول الذي فعلته أول مرة، بل لما يتمادى الإنسان و يجترئ يكون معرضًا للفضيحة، ولذلك السؤال الأهم لما الإنسان يفتضح أن يسأل: كيف هُتك الستر عني، لأن الأصل أن الله يلقي ستره عليك ويستر عباده، فالله قد يستر شارب الخمر، وقد يستر زانيًا زنى لأول مرة، فلا يهتك ستره على أحد إلا وقد كانت له سوابق، ولاحظي هنا تفصيلة دقيقة، فلا يشترط لما نقول "أول مرة" أنه نفس الذنب يتكرر ثم افتُضح، أحيانًا يكون الذنب نفسه فعلًا قد فعلتيه لأول مرة ولكن مقدماته كلها فعلتيها في السابق أيضًا، فمثلًا فتاة لا تعرف أبدًا طريق مكالمات الشباب والعلاقات معهم، ولكنه لما حدث نوع من التساهل في وسائل التواصل في سناب يرد علي وأرد عليه، في تويتر يرد علي وأرد عليه، في انستقرام علّق وتفاعل، هنا تبدأ علاقة خاصة ونوع اهتمام وانتباه، هذه كلها مقدمات، فإذا تجرأت أكثر وتطورت العلاقة لمكالمات، ثم تطورت فخرجت معه أو التقت به، فافتُضحت، هنا لا نقول هذه أول مرة، بل السوابق كلها كانت الأوائل، وقد سترك الله في كل المراحل السابقة، **وأحيانا يكون من رحمة الله بك أنه يفضحك في أول مرة حتى لا يتمادى الإنسان في هذا الطريق.**

ولذلك مهم أن يستر الإنسان نفسه ويعلم أن الله ستّير، جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ" [أخرجه البخاري، صحيح]

(كل أمتي معافى) وهم المستترون بذنوبهم، النادمون، الخطاؤون لكنهم يخبئونها يستحون أن يعرف أحد أن هذا الذنب يخرج منهم، هؤلاء معافون طالما أنك تستتر بستر الله، لكن متى هذا الإنسان يُهتك ستره؟عندما يجاهر فيُصبح وهو يكشف ستر الله عز وجل عنه.

جاء عن عثمان بن أبي سودة أنه قال: "لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله" قالوا: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه بين الناس. وعثمان بن أبي سودة هذا ما جاء في عصر كانت

الأشياء تُبث فيه على الهواء مباشرة ولا جاء في عصر السناب ولا عصر الانستقرام أو التويتر ولا في الفترة التي يتفاخر الناس فيها بذنوبهم، من أكثر ذنب؟ من أكثر جرأة؟ من منا الذي لم يفوّت حفلة ولا ليلة ماجنة؟ يفعل الواحد منهم الذنب ويجاهر به ويجترئ على الله عز وجل بذلك، هؤلاء هم المجاهرون الذين يخرجون من قائمة المعافاة.

ولذلك جاء أيضا في الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح] إذا كنت ممن يتتبع عورات الناس ويهتك سترهم ويفضحهم، فإن هذا الفعل مردود لك فحتى لو كنت في بيتك بين أربعة جدران فإن الله قادر على أن يفضحك، **لماذا؟** لأن الجزاء دائما من جنس العمل.

ولذلك في الشرع لا يجوز للزوج أن يُفتش في جوال زوجته أو يفتش في أغراضها الخاصة والزوجة كذلك لا يجوز لها أن تُفتش في جوال زوجها أو في صوره أو في أي شيء من غير إذنه، لماذا؟ حماية للستر، فحتى بين الزوجين لا يجوز اختراق الخصوصية، ودليل هذا ما كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في معاملته لأهله، فمثلاً حينما يسافر كان لا يطرق المدينة ليلاً، يعني إذا وصلوا المدينة وكان الوقت ليلًا فإنهم لا يدخلون بيوت أهليهم بل يخيمون في المدينة حتى الصباح، ومع أنهم قدموا من مشقة طريق وهم على رواحلهم، ونحن الآن نسافر بالطائرة ولا يصبر الواحد على وصوله منزله، أما النبي وأصحابه فمع وعثاء السفر فإنهم كانوا لا يدخلون على الأهل فجأة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلْتَ لَيْلًا، فَلاَ تَدْخُلْ عَلَى أَهْلِكَ، حَتَّى تَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ، وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ» [أخرجه البخاري، صحيح]

ومن السنة أيضًا أنهم كانوا إذا وصلوا المدينة نهاراً -وبالطبع لم تكن لديهم هواتف ليخبروا أهلهم أنهم وصلوا- فكيف يعرف أهلهم؟ كان الجيش أول ما يصل يدخل إلى المسجد، فيراهم الناس فينتشر الخبر في المدينة، فتعرف كل من غاب زوجها في الجيش أن عليها الاستعداد لاستقباله، وفي الحديث: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ» [أخرجه مسلم، صحيح] ففي الحديث نهى النبي أن يداهم الرجل أهله، كأنه يريد أن يرى ماذا يفعل أهله في غيابه؟ هل يخونونه؟ قال في نهاية الحديث (لئلا يتخونهم) لا تخوّن أهلك وتجعل الشك هو السابق ،

هذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المعاملة التي كان يربي عليها جيش بأكمله والصحابة بأكملهم أنكم لا تخونوا أهاليكم ولا تداهموهم، ومثل هذا ينطبق في زمننا الآن من يفتح الباب على غيره فجأة أو يفتش في الجوال أو اللابتوب، عن معاوية قَالَ: سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ؛ سَمِعْتُهُ يَقُولُ- أَوْ قَالَ-: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ"[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح]

وسبحان الله نلاحظ أن من يريد الله أن يفضحه فسيفضحه بدون أن تتبع الريب في الناس، ولذلك سمعنا من القصص أن زوجات اكتشفوا خيانة أزواجهنّ من زلة وقعوا بها لما نسوا لمرّة الجوال مفتوح أو

الاشعارات مفتوحة ولاحظت وجود رسائل من امرأة أخرى يخونها معها، لذلك من يريد الله أن يفضحه فسيقع له ذلك ولو كان بين جدران بيته.

والملاحظ أن أكثر ما يشغل الناس، والذي نلقاه دائمًا متصدرًا الأخبار هي الأخبار المتعلقة بالفضائح، تأتي بالبند العريض "فضيحة فلان الفلاني" كان مشهور، أو وزير، أيًا كان، وتخيلوا المجتمع لما يكون عبارة عن مجتمع فضائح ما الذي يحصل؟ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح]

<u>ولذلك يقال دائمًا أن تتبع العورات تدل على خُبثٍ في النفس، فهو مثل الذبابة يدور ويبحث عن القاذورات ليقع عليها، يجد أمامه الطيبات ولكن نفسه لا تشتهي إلا الخبائث.</u>

جاء عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح] ذوي الهيئات: الناس المشهود لهم، كالمعلم المربي والشيخ والموظف المحترم وغيرهم من الناس الذين لهم فضل ومكانة، فإذا رأيتموهم في يوم من الأيام وهم على خطأ فأقِل عثرته، يعني لا تفضحه وتصوره وتنشر خبره، قد يكون هو الآن في لحظة ضعف، فلا تأخذه لأول زلة تقع منه، وكما قيل "اتّقوا شر الطبوليات" يعني (زلة العالم يُضرب لها الطبل) وكان هذا قبل أن تظهر وسائل الإعلام والقنوات والتي هي الآن أشد خطرًا وانتشارًا من صوت الطبل،

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر الحديث «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح] ليس تقديساً للشخوص لكن لحب الله للستر ولانتفاع الناس فيهم، ولأنه ليس منا معصوم، فالنبي ﷺ كان معصومًا في الوحي وفي الشرع وأما في أمور الدنيا فلا، من ذلك لمّا أشار على صحابته في أمر يتعلق بتلقيح النخل، فظنّ الصحابة أن كلامه بالتأكيد سيكون صحيحًا في هذا فلم يلقحوا فلم تثمر لهم ذلك العام، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ» [أخرجه مسلم، صحيح]

نأخذ من هذه الحادثة أن البشر يظلُّ بشرًا، قد يعتري الإنسان لحظة من الضعف أو الخوف كما يعتيره البأس والقوة، وصاحب الخطأ قد يكون معذورًا عند الله عز وجل فلمَ لا نعذره نحن؟

تخيلوا لو أن فتاة او شاب مراهق تأثر مثلًا بطبيب وصار يسمع نصائحه في اتباع النظام الصحي في الأكل وممارسة الرياضة وترك التدخين وغيرها، ثم رآه في يوم ما يدخن، فشهّر به وأهمل كل النصائح وعاد لما هو عليه!

كذلك الأم حتى لو رأت الأب يعمل ما لا يليق فإنها تحاول أن تستر فعله ولا يعرفه الأولاد حفاظًا على المنزل، حتى لا يرى الأولاد فعل أبيهم فيكونوا مثله.

لأن كل الناس يمرون في لحظات ضعف، وليس التصرف الصحيح هو فضيحتهم أو اعتقاد سوئهم كُليًا، بل هو بشر يؤخذ منه ما يصح، ويترك ما لا يصح.

كثير من القصص حولنا لو استذكرناها تدمرت حياة أصحابها بسبب مواقف من هذا القبيل، فضائح نشرت عنهم وقذف ورميٌ بالتهم، كأنها أسرع طريقة لأي شخص يريدون إسقاطه أن يتسلطوا عليه برميه بفضيحة، ومن بعد ذلك سيأتي ليثبت براءته و يحاول دفع الظلم عنه.

ولذا لا يجوز أن يُشهر بإنسان ولا أن يُفتضح، **لماذا هذا الكلام له هذه الأهمية؟** لأن المجتمع حين يكون مجتمع فضائح ينبت فيه الخبث، تصير نظرة الناس لبعضهم دائمًا نظرة فيها الخبث وأن الأصل في الإنسان الخبث، وفي السابق لما كان الناس مستترين كان الواحد منهم يستحي أن يُعلن بذنبه، يستحي أنه يكون الشخص الأسود بين الناس الذين يعتقد أنهم أطهار،

والآن لما صار انتشار الفضائح سهل وكل واحد يعلنها ويجاهر بها ويتداولها في مواقع التواصل صار يشعر أن الناس كلهم سواسية، وأنهم مثله كلهم على علاقات محرمة وخيانات وزنا وشرب، ويؤثر الانتشار على النفوس بأن ينعدم منها الحياء، وكأن هذه الفضائح المنتشرة هي لا شيء أو إنها من العاديات، ويصبح المعروف منكرًا والمنكر هو المعروف، ويصبح الإنسان الطاهر العفيف هو المعقّد وهو المختلف، وهو المصاب بالرهاب الاجتماعي لأنك لا تقيم علاقات مع الجنس الآخر! هكذا يصبح التقييم! ولذلك هذه الفضائح تجعل المجتمع مجتمعًا خبيثًا، في حين أن الحديث النبوي يقول«مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح] فالستر واجب بل هو من أصول الديانة .

والستر يكون أيضًا من أعين الجن ليس الإنس فقط، في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلاَءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ"[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح] فبمجرد أن تقولي بسم الله سيكون صار بينك وبين هؤلاء الجن ستر، هذا الفعل البسيط حتى لو كنت في غرفة لوحدك وأردتِ خلع وتبديل ملابسك فقولك بسم الله يجعل الشياطين لا تراك، هذه النقطة التي يلفتك إليها الشرع مع أن الجن أنت لا ترينهم ولا تشعرين بوجودهم فضلًا أن تشعري بالحياء منهم ولكن يعلمنا الإسلام هذا كناية عن الستر وأهمية الستر، فكيف أن الله عز وجل يسترنا ونحن نتعرى بكامل إرادتنا!

ما هو الفرق بين الستير والستار أو الساتر؟

الستّير هو اسم الله عز وجل، والستّار والساتر صفاتٌ من صفاته، فأسماء الله سبحانه توقيفية لا يجوز أن نسمي الله عز وجل إلا بما سمى به نفسه، وهذا ينطبق على أسماء أخرى كالعليم والعالم، فالله من أسمائه العليم، وصفته عالم، وكذلك اسمه القدير وصفته قادر جلّ جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

ومن أهمية هذه الصفة أن رسول الله ﷺ كان يدعو ليلًا ونهارًا بهذه الدعوة، عن ابن عمر قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: "... اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي،..." [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح] هذا الدعاء من أذكار الصباح والمساء مهم ألا يتركه المؤمن ليكون دومًا في كنف ستره سبحانه.

نختم بأحد القصص المعروفة في السيرة، لصحابي اسمه ماعز، كان أحد الأخيار وأحد الذين وقر الإيمان في قلوبهم ، وإياك أن تتخيل شيئًا آخر غير ذلك، ماعز رضي الله عنه بشر أصابه ضعفه البشري، في يوم ما انهزم

في موقف أمام شيطانه فأصاب فاحشة ووقع على امرأة، جلس بعد فعلته تلك يومًا ويومًا آخر ولكنه لم يُطِق نفسه، استوعب جسامة خطئه وما استطاع الصبر أكثر،

وهنا يكون الفرق بيننا وبين الصحابة رضوان الله عليهم، الصحابة كانوا يستعظمون الذنب الصغير قبل الكبير، يكاد الواحد منهم من ندمه إذا رجع إليه رشده وعاد إيمانه أن تخرج روحه، وأما نحن فنستصغر ذنوبنا ولا نفكر حتى في التوبة، الواحد منا يكذب يغتاب يظلم يسمع موسيقى، تظهر منه عورة ومع ذلك حتى قلبه لا يرجف!

نعودُ لقصة ماعز الذي عندما أصاب الذنب الكبير لم يتحمل قلبه وغلب عليه شعور أنه ملطخ ملوّث، فذهب إلى أقرب الناس له، واحد من أبناء عشيرته قريبه وصديقه اسمه هَزّال، قال يا هَزّال: إني أصبت ذنبًا وإني وقعت على امرأة، فما أفعل؟ فقال له هَزَّال: إني لا أعلم والله شيئًا إلا أن تخبر رسول الله ، فذهب ماعز إلى النبي عليه الصلاة والسلام ومشى إليه نادمًا تائبًا ووخزة الذنب في قلبه،

فلما جاء ووقف أمام النبي عليه الصلاة والسلام فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ»، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزِّنَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِهِ جُنُونٌ؟» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشَرِبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَزَنَيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ،

فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا. [أخرجه مسلم، صحيح]

نأخذ من قصة ماعز دروس منها أنه ما أتى للنبي عليه الصلاة والسلام واعترف بذنبه مباشرة، بل أول ما قال له: "طهرني" دلالة على أنه غير راضٍ عن فعله ودلالة على شعوره بأنه ملطخ بذنب يخنقه كأنه عليه مثل الوسخ ويريد أن يتطهر منه، ولهذه الكلمة عظيمة التفت له النبي عليه الصلاة والسلام فقال له : (ويحك ما أذنبت) قال يا رسول الله: فعلت كذا وكذا وكذا بالتفصيل، فقال له النبي يريد أن يجد له عذر لأن الكلام هذا لو صح فعاقبته الرجم، قال: يا ماعز لعلك فعلت كذا وكذا؟ قال : لا يا رسول الله بل فعلت كذا وكذا، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام

فلم يزل ماعز يلتفت إليه ويأتيه من كل الجهات ،قال الحاضرون : حتى أقر ماعز على نفسه 4 مرات بالشهود أنه فعل ذلك، فلم يكن بدّ للنبي عليه الصلاة والسلام وقد وصل إليه هذا الحكم إلا أن أقام به الحد فأُخذ فرجم، ومات رحمة الله عليه، وصلى عليه رسول الله ودعا واستغفر له.

في هذه القصة نحن لا نتحدث عن عقاب عادي، هو ليس قطع بالسيف وانتهى، بل الرجم من أشد أنواع العقوبات ألمًا، ذلك لأن الزاني كما تلذذ بكل خلية في جسده، فكانت العاقبة من جنس ذلك بأن يرجم هذا الجسد ويكون له كفارة وتطهير في الدنيا والآخرة.

وقد كانت بداية القصة كما يحدثها الصَّحابيُّ الجَليلُ نُعَيْمُ بنُ هَزَّالٍ يقول: "كان ماعِزُ بنُ مالِكٍ يَتيمًا في حِجْرِ أبي"، أي: في كَنَفِه ورِعايَتِه، "فأَصابَ جاريةً من الحَيِّ"، أي: زَنَى بأَمَةٍ منَ القَبيلَةِ، "فقال له أبي"، أي: قال هَزَّالٌ لِماعِزَ: "ائتِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ"، أي: اذهَبْ إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، "فأخبِرْه بما صنَعْتَ"، أي: اعتَرِفْ عنده بجريمَتِكَ، "لعَلَّه يَستغْفِرُ لكَ"، أي: لعلَّكَ تجِدُ عنده مَخْرجًا فيَسْتغفِرُ لكَ، "وإنَّما يُريدُ بذلك رَجاءَ أن يكونَ له مَخْرجًا"، أي: كان هزَّالٌ يَرجو أن يجِدَ ماعِزٌ عند رَسولِ اللهِ مَخرَجًا مِن إثْمِه وجريمَتِه، "فأَتاه"، أي: فأَتى ماعِزٌ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ....."

أي أن نعيم بن هزّال كان سببًا في إقناع ماعز أن يحدث النبي عليه الصلاة والسلام، فلما مات ماعز، قال النبي عليه الصلاة والسلام لنعيم بن هزال: " هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَتُوبَ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ " " ثُمَّ قَالَ: " " يَا هَزَّالُ، لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ، كَانَ خَيْرًا لَكَ " [أخرجه أحمد في مسنده، وقال المحقق: صحيح لغيره]

يعني كأنه يعاتبه ويقول له لم جعلت الخبر يصل لي؟ لو سترته بثوبك؟ وجعلت الذنب بينه وبين ربه، لكان خيرًا مما صنعت.

ومن الحوادث كذلك ما حصل مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما جاءه رجل فقال: إن بنتًا من بناتنا أصابت حدًا في السابق، وهذا الحد تابت منه وأنابت فسترناه عليها، وهي الآن تُخطب أفلا نحدثهم بما فعلت؟

قال: أما والله لو فعلت لأوجعتك ضربًا، يعني هي تابت وسترها الله فكيف تكشف سترها؟!

لأجل عظمة موضوع الستر أيضًا وضع سبحانه وتعالى الحدود، فما هو حد القذف الذي جعله تعالى؟ يعني أن يقذف إنسان آخر بالزنا أو بالعهر، عليه اولًا أن يأتي بأربعة شهود على كلامه، وإذا ما أتيت بأربعة شهود تجلد في ظهرك ثمانين جلدة!

تخيلوا لو أن هذا الحد يعمل به في كل من يتكلم بأعراض الناس؟ لرأينا الناس لا يتساهلون في كلماتهم ويسقطون في أعراض الناس غيرهم!

عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ» [أخرجه البخاري، صحيح]

ولذلك الستر عزيز! والذين استثنوا من موضوع الشهود هم الأزواج في سورة النور في الوجه الأول: لما قال الله عز وجل في آيات الملاعنة أن الرجل هو من يحلف ويقسم بالله عز وجل أربع مرات إنه من الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وأما الزوجة فيُمنع عنها الحدّ والعقاب أن تشهد أربع

شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، هذه الملاعنة تكون بين الأزواج فقط لخصوصية العلاقة بينهما، وأما غير هذا فلا يجوز لأحدٍ أن يقذف أحدًا إلا ويأتي بشهود أو يكون له الجلد.

وتأملوا الفرق بين هذا وبين شخص آخر، إذا خرج في برنامج تلفزيوني وسُئل في برامج تعنى بالصراحة وغيرها، فيُقر ويعترف بفجوره وفسقه وما هو مقيم عليه من علاقات ونحوها على الهواء مباشرة، وتأتي التعليقات من الناس على أن هذا الشخص متصالح مع نفسه، وأنها نزوات طبيعية عند الشباب، فيتطبع الذنب ويكون الزنا والشرب والحفلات والليالي الحمراء أشياء عادية.. بينما يوسم ذلك الآخر الذي أخفى ذنبه، حياء من ربه ومن الناس على أنه منافق!! وهنا يكون إشكال في التصور العام، **فنحن لا نربي منافقين وإنما نربي توابين نادمين**.

هناك فرق بين إنسان يظهر للناس وجه ويخفي آخر ليسترزق منه، وبين إنسان آخر مبتلى بذنب لكنه يحاول أن يغطيه لا يجاهر فيه ولا يشجع غيره على عمله! هناك فرق كبير بينهما، فهذا يبيت يستر الله عز وجل عليه ذنبه فيبات مستورًا، والثاني يبيت وقد كشف الله عز وجل عنه ستره، فمن أجل هذا الستر كان حد القذف، ومن أجل هذا الستر أيضًا أن نأتي بأربع شهود، ومن أجل هذا الستر قال الله عز وجل في كتابه:" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ ".(النور:١٩).

فتخيلوا أن هؤلاء الذين يحبون (فقط يحبون دون أن يعملوا) أن تشيع الفاحشة، يعني أن تصير منتشرة ومسموعة في كل مكان، فما تفتحين برنامج ولا موقع سواءً تويتر أو سناب أو غيرها إلا رأيت الفاحشة يتحدثون عنها، أو يفعلونها، وتصير كأنها أمر طبيعي وعادي، هؤلاء الذين كانوا يبيتون لا أحد يدري عن فواحشهم الآن صارت تنقل علنًا وبثًا مباشرًا، والذين يحبون الفاحشة أيضًا هم أولئك الذي يفرحون إذا رأوا زلة عالم أو شيخ، ليشعروا بالاطمئنان أن الناس كلهم باتوا سواسية، لا يوجد أحد طاهر ونظيف في هذه الأرض!

وتأملوا الفرق بين هؤلاء، وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي إذا رأى ما يكره وأراد أن يخطب على الناس خطبةً عن ذلك صعد المنبر فقال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، لا يصرّح أبدًا سترًا لهم.

جاء رجل لابن مسعود-رضي الله عنه- فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، يعني واضح أنه شارب، وهم ما رأوه وهو يشرب، بل رأوا آثار الشرب على لحيته، فقال لهم ابن مسعود: إنا نُهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا منه شيئاً أخذناه به، يعني لو رأيتموه وهو يشرب تعالوا به نقيم عليه الحد، أما أنكم ظننتم بآثار عليه أنه شرب أو شممتم منه رائحة لا نقبل، قد يكون مرّ به أحد فسكب عليه!

ولذلك حرم الله سبحانه الظن بدون بينة ودليل قاطع، و نهينا عن التجسس الذي يؤدي للظن السيء، قال تعالى: " وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ"(الحجرات:١٢).

وانظروا لهذه الحادثة التي حصلت مع أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- عندما جاءتها امرأة فقالت: إن رجلًا قد أخذ بساقها وهيَ محرمة... فقاطعتها عائشة-رضي الله عنها- وأعرضت عنها وقالت: **يا معشر النساء إذا أذنبت إحداكن ذنبًا، فلا تخبرن الناس به، ولتستتر، ولتستغفر الله وتتب اليهِ، فإن العباد يعيرونا ولا يغيرونا وإن الله يغير ولا يعير.**

يعني هذه المرأة أرادت أن تقول ما حصل معها لعائشة، لكنها قبل أن تكمل قاطعتها، ونصحتها ألا تفشي أمرها وتكشف سترها، فالناس لن يفعلوا لك شيئًا، وإنما سيظل هذا الموقف دائمًا في أذهانهم يعيّرون به صاحبه، وأما الله فيغير ويغفر الذنب، يتوب عليك، ويهديك، ولا يعيرك.

قال ابن القيم -رحمه الله-:"**ومن الناس من طبعه طبع خنزير، يمر بالطيبات فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمّهُ، وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه فإذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبه، فجعلها فاكهته ونُقْلَه**"

يعني كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف المساوئ فلا يحفظها ولا ينقلها عنك، لا يرون الجميل ولا يرون المعروف، بل عينه تلقط الوسخ فقط، فإذا رأى هذه الزلة جعلها فاكهته وأخذ في نقلها، يتصيّد عليك الأخطاء حتى يذيعها!

ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]. **فلذلك أقبح من التشهير بالذنب أن تعاير به.**

تخيلي لو أنك علمتِ عن ذنب فعلته ابنة عمك أو صديقتك، ولكنها تابت منه، وظللتِ أنت في كل مرة تذكريها به وتعايرنيها عليه! سترين أن واحدة من مساوئ هذا الأمر أن صاحبة الذنب القديم ستظل تشعر دائمًا بالذنب، وأنه ما دامت هذه البصمة عرفت عنها من الناس إذًا لا داعي لأن تتغير، ستعتقد أن الوضع هكذا محتوم ولا فائدة من التوبة والتطهر من الذنب!

ولذلك قد تكون معايرة الإنسان لصحاب الذنب تقلل إيمانه، وتعود به إلى الذنب ، والمعايرة لا يكون إثمها على فاعل الذنب فقط، بل حتى من يُعاير سيبتلى بما عاير به ولابد.

حين تفتشين في كتب العلماء عن هذا الموضوع يقولون: إنها سنة مطردة أن من عاب على أحد أُبتلي به! وفي لهجتنا العامية يقولون: لا تعيب إلا على مصلي أو صائم، يقصدون أن من تعيبه يصيبك مثل ما أصابه، فأجمل شيء أنك تعيب على مصلٍ صلاته طويلة لتصبح مثله، أو صائم..

وأتذكر من المواقف أن واحدة من البنات كانت تنتقد باستغراب بعض من صديقاتها لبسن حجاب "التوربان" الذي تظهر معه الرقبة، كانت مستنكرة جدًا، لكن الغريب أنها في الصيف الذي بعده جاءتني وقالت إنها صارت تلبس مثلهم، وأنها صارت تراه أجمل وأفخم!

قلت لها: إننا نتحجب وفقًا لما يريد الله، لا كما هو هوانا وما نراه جميل، بالأمس كان حجابًا كاملًا، واليوم تربان، قد نتهاون حتى نرضى بقبعة، أو بلا حجاب أصلًا! فإذا كان المعيار هو الأجمل والأفخم فلن نتوقف عند حدّ!

ولذلك والمهم من كلامها ألا تظهر المعايرة لأحد، وقل: الحمدلله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا.

وتذكر دومًا قوله تعالى:" كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ"(النساء:٩٤).

يعني لا تحسب نفسك أنك أطهر إنسان ولا أفضل إنسان، أنت يوم من الأيام كنت كذلك أيضاً. قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: "**المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير**" وهذا الفرق بين الإثنين، فالمؤمن يستر ولا يتركك بدون نصيحة، أما الفاجر فهو مستعد لأن يفضح، يرفع هاشتاق في فضيحة أو خبر، ويعيّر ويشمت!

وقد يكون من السياقات المهم التطرق لها هنا، أن هناك فرق في التعامل مع الزوج الفاسق الفاجر، وبين زوج ابتُلي بذنب، مثل النظر للحرام ، أو مراسلات أو إدمان، تراه لا يجاهر بذنبه بل يعترف بخطئه ولكنه ابتلاء، فمثل هذا لا يكون الحل دائمًا هو الطلاق والانفصال، بل لتكن الزوجة معاونة له لأن تنتشله مما هو فيه، كما تتمنين أن يساعدك أحد لو كنتِ على ذنب ما، لأنك تعلمين منه أنه ليس مجاهر ولا فاسق بس مسلم ويتمنى لو يترك هذا الذنب.

وهذا الشيء يجعلنا نتكلم **عن الفرق بين الستر والغفران**، فأما الغفران فهو أعلى من الستر، يقتضي إسقاط العقوبة ونيل الثواب، وهذا اسم الله الغفار، وأيضًا يقلب له ذنبه إلى حسنات،فهذا مفهوم الغفران.

وأما الستر فهو أخص من الغفران: فيجوز لله سبحانه أن يستر ولا يغفر، وكذلك بين الناس، قد تستر الزوجة على زوجها عندما تراه وقع في ذنب، تقوله له أنت أبو عيالي ولن أتكلم عليك، ولكن لا أسامحك، وربما هناك من يستطيع الستر والمغفرة، كأن هذا الذنب لم يحصل، **هناك فرق كبير بين المرتبتين وهذه تحتاج لنفوس كبّار تستر وتغفر، لأن هذا لا يستطيعه كل أحد وهو عظيم عند الله عز وجل.**

أختم هذا الدرس بمجموعة نقاط نجيب بها على سؤال: كيف نفوز بستر الله؟

النقطة الأولى: أن نخلص المعاملة بيننا وبين الله للحديث: الذي يقول فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ " [أخرجه البخاري، صحيح]

والقاعدة: الجزاء من جنس العمل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [أخرجه مسلم، صحيح]

فتكون سجيتك دائمًا أنك تسترين على الناس، وأن الذنب والشر والفاحشة تأتي عندك وتقف، فلا تهتكين ستر أحد ولا تتكلمين عنه.

النقطة الثانية: تفوز بستر الله عندما لا تجاهر بذنب.

نرى أن المجتمع الذي نعيش فيه يدفعنا دفعًا لأن نجاهر بالذنب لكي نُجاري الناس، لنكون مثلهم حتى تصير "كشخة ومتحضر" مثلهم.. وحين لا تجاهر تكون كأنك من بقايا الناس الطيبين الأوليين!

إذًا عليك أن تقاوم ولا تجاهر بذنبك واعمل كما قال ميمون بن مهران: (من أساء سراً فليتب سراً ومن أساء علانية فليتب علانية)

ومصداق ذلك: ما قاله معاذ بن جبل رضي الله عنه: أي رسول الله ! أوصني ، قال : اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك من الموتى ، واذكر الله عند كل حجر وشجر ، وإذا عملت السيئة فاعمل بجنبها حسنة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية. [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، وقال الألباني: حسن]

فإذا فعلت ذنباً بالسر فافعل عملاً من الحسنات بالسر .. فعلت أمراً علانية وكنت قدوة سيئة تكفيراً لهذا الذنب حاول أن تفعل أمراً حسناً علانية (السر بالسر والعلانية بالعلانية) وهذا مصداق قول الله عزوجل (إن الحسنات يذهبن السيئات)

النقطة الثالثة: نفوز بستر الله حين نكثر من الاستغفار ونكثر من العبادات

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ. [أخرجه البخاري، صحيح]

لماذا ؟ (لأن الحسنات يذهبن السيئات)

النقطة الرابعة: تفوز بستر الله إذا سترت على أخيك المسلم ..

جاء رجل إلى الحسن البصري قال يا أبا سعيد: رجل علم من رجل شيئاً أفنُفشيه؟ قال: لا. سبحان الله! من الستر أن يغطي المسلم عيوب أخيه فما أُمرنا أن نكشف أستار بعضنا البعض .. بل نحن مأمورون أن نستر بعضنا

تخيل لو أن أي فاحشة أو ذنب أو فضيحة عندما قالها أول شخص لم يجد من يعيد تغريدها، ستنتهي عنده!

هذا على وسائل التواصل فكيف بحياتنا العادية .. نتخيل لو كنا في مجلس، وأحدهم قال كلمة فيها فضيحة لأحد، فأوقفه الثاني سينتهي الموضوع ..

زينب بنت جحش ماذا قالت حين سألها رسول الله عن عائشة وهي التي كانت تساميها في المرتبة على قلب رسول الله .. "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ : يَا زَيْنَبُ ، مَا عَلِمْتِ ، مَا رَأَيْتِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا . قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ. [أخرجه البخاري، صحيح]

كان من الممكن أن تقول أي شيء! تخيلي لو لديك ضرّة و وجدتِ مكاناً أو حدث قد تصيبين منها بشيء .. مثلًا كأن تقول زينب لرسول الله (لا أدري يا رسول الله) تعطي إجابة غير مريحة، ولكنها ماذا قالت رضي الله عنها؟

(أحمي سمعي وبصري يا رسول الله والله ما علمت عليها إلا خيرًا)

النقطة الخامسة: لا تتبع عورته .. قال العلماء من الستر على مسلم عدم تتبع عوراته.

ويتصل بذلك أيضًا أحكام منها: ألا تأتي المرأة إلى زوجها فتنعت المرأة كأنه ينظر إليها.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا [أخرجه البخاري، صحيح]

مثلا تعودين من الفرح وتصفين العروس (ماشاء الله جميلة كأنها فلقة قمر)

ومن الأحكام كذلك: أنه من كان مستورًا فوقعت له الزلة لا يجوز لمن رآها وعرف عنها التحدث عنه ولا نشرها وهي غيبة محرمة. أما من كان مشهوراً بذلك الذنب ويجاهر به ويدعو إليه فهذا هو الفاجر فلا غيبة له.

النقطة السادسة: من أسباب نيل ستر الله عز وجل: الصدقة.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَلْيَفْعَلْ. [أخرجه مسلم، صحيح] أخذ العلماء من هذا الحديث أن الصدقة من أبواب الستر.

النقطة السابعة: من أسباب الفوز بالستر: ستر المؤمن الميت عند تغسيله.

عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّ عُقْبَةَ قَالَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ : أَتَى مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ بِمِصْرَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَوَّابِ شَيْءٌ فَسَمِعَ صَوْتَهُ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا ، وَلَكِنِّي جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قَالَ عَبَّادٌ فِي حَدِيثِهِ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً فَسَتَرَهَا سَتَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : لِهَذَا جِئْتُ . قَالَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ فِي حَدِيثِهِ : رَكِبَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ . [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح لغيره]

لأنه قد يسود وجهه أو تظهر عليه علامات أو شيء خبيث أو أي أمر فما يجوز أن تتحدث بما رأيت في المغسلة.

النقطة الثامنة: كظم الغيظ في الغضب.

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. "[أخرجه مسلم، صحيح]

وإذا أردت أن تأخذ حقك، تكلم ولكن تكف غضبك.

النقطة التاسعة: الدعاء.

عن ابن عمر قالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي. اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أغتال من تحتي"[أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح]

النقطة العاشرة: أن تحسن الظن بالله..

أن تظن أن الله لن يهتك سترك، فحين تقولين يارب استر عليّ وعلى بناتي، واللهم استر على شبابنا وشاباتنا وتظنين بيقين أن الله لن يهتك سترك وهذا ظنك فـ(أنا عند ظن عبدي بي).

النقطة الحادية عشرة: تربية البنات.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا ، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ "[أخرجه البخاري، صحيح].

النقطة الثانية عشر: عدم إفشاء أسرار العلاقة الزوجية.

حدث مرة في عرس والنساء مجتمعات حول طاولة، فأخذت إحداهن تتحدث عما يحصل بين الزوج وزوجته، وكانت بينهن واحدة تسمع لأول مرة أمور لم تسمعها من قبل في حياتها فافتتنت فوقعت في الزنى، لأنها كانت تبحث عن الشيء الذي سمعته.

فليس سهلاً إشاعة الفاحشة، أنت تظن أنه أمر عادي.. ولكنه عند غيرك لن يكون عاديًا، إذًا فالذي يحصل بينك وبين زوجك لا تفشيه لأي أحد ..

عَنِ الطُّفَاوِيِّ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَتَوَيْتُ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ شَهْرًا ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ وَعِكَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَيْنَ الْغُلَامُ الدَّوْسِيُّ ؟ فَقِيلَ : هَا هُوَ ذَاكَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ مَوْعُوكًا ، فَجَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيَّ وَقَالَ مَعْرُوفًا ، ثُمَّ قَالَ : إِنِ الشَّيْطَانُ نَسَّانِي مِنْ صَلَاتِي شَيْئًا فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ وَلْيُصَفِّحِ النِّسَاءُ

. ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ وَخَلْفَهُ صَفَّانِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَفٌّ مِنَ النِّسَاءِ ، أَوْ صَفَّانِ مِنَ النِّسَاءِ وَصَفٌّ مِنَ الرِّجَالِ ، فَصَلَّى وَلَمْ يَنْسَ شَيْئًا ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَلَا عَسَى رَجُلٌ أَنْ يُغْلِقَ بَابًا وَيُرْخِيَ سِتْرًا وَيَسْتَتِرَ بِسِتْرِ اللهِ ثُمَّ يَخْرُجَ فَيَقُولَ : فَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا وَفَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا ؟ فَقَامَتْ جَارِيَةٌ كَعَابٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللهِ إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ ذَلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَا مَثَلُهُ ؟ قَالَ : مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي سِكَّةٍ فَنَكَحَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ ، وَلَا الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، إِلَّا الْوَلَدُ وَالْوَالِدُ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ طِيبَ الرِّجَالِ رِيحٌ لَا لَوْنَ لَهُ ، وَطِيبَ النِّسَاءِ لَوْنٌ لَا رِيحَ لَهُ . [أخرجه البزار في مسنده، وقال الألباني: حسن لغيره].

النقطة الثالثة عشر:

من أسباب أن تفوز بستر الله .. أن تستتر ولا تتعرى، فالتعري هو هتك لستر الله.

عن جَابِرٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ بِغَيْرِ إِزَارٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ "[أخرجه النسائي في سننه، وقال الألباني: صحيح لغيره].

والحمام في ذلك الوقت هو الحمام الساخن كالموجودة في دمشق وغيرها، وقد كانوا حتى يدخلونها وهم تاركين ملابسهم خارجها.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ . وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ .[أخرجه مسلم، صحيح].

فلا يجوز أن ننظر إلى عورات بعض وقد تأتي أحد النساء فتقول أن العورة من السرّة إلى الركبة، وهذا فيه غلط في مفهوم العورة العام، فالسرة إلى الركبة هي العورة المغلظة التي لا يجوز لأحد أن يراها حتى أمك وأبوك وأخوتك. لكن هل هذا يعني أن نجلس في البيوت نغطي فقط العورة المغلظة وما فوقها وتحتها لا شيء!؟ هذا التفكير فيه انعدام للحياء، واستثارة للشياطين في المكان، وللأسف أصبحنا نحضر المناسبات ونرى الفتحات ممتدة من الأعلى حتى البطن، والظهر مكشوف، والفخذ مكشوف!

لذلك إذا أردت أن تفوز بستر الله عليك وأن يستر الله عوراتك فمن الاستتار ألا تتعرى وأن تغض بصرك ، أيضاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا ، هَتَكَتْ سِتْرًا مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا. [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح لغيره].

فلا يتخيل الإنسان أنه من الطبيعي أن ينزع ثيابه في أي مكان، فحين تذهب لأماكن عامة يجب أن تنتبه ما الذي يجعلك مضطرًا لأن تخلع ملابسك؟ فليس طبيعيًا أن تنزع ملابسك في غير بيتك

لذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: "...وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ,..."[أخرجه مسلم، صحيح].

قال ابن حجر في شرح الحديث: "ولعل النساء في ذلك الزمان يشددن عليهن ملابسهن فيصبحن كأنهن عاريات"

فكيف به لو رأى أنواع الأقمشة في زماننا هذا؟

أختم بكلمة لابن القيم رحمة الله عليه يقول: (**للعبد ستران ستر بينه وبين ربه، وآخر بينه وبين الخلق، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك ستره بينه وبين الخلق**)

وقد كانت الملائكة تستحي من عثمان رضي الله عنه، يقول النبي ﷺ : "أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ"[أخرجه مسلم، صحيح].

فلو كنا سنأتي بمعادلة تختصر هذا الكلام، سنقول: لا تهتك الستر الذي بينك وبين الله.

أسأل الله أن يستر عوراتنا وأن يؤمّن روعاتنا وأن يغفر ذنوبنا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها